**جامعة عبد الرحمان ميرة-بجاية-**

**كلية اللغات والآداب**

**قسم اللغة والأدب العربي**

**مقياس النقد العربي الحديث التخصص أدب**

**السنة الثانية ليسانس المحاضرة السادسة**

**جماعة الديوان**

**مدخل:**

لقد بات واضحا –إذن- أن بداية تأسيس النقد العربي الحديث اقترنت بشكل واضح ومباشر بإرادة ثابتة وجازمة ورغبة قوية في مواكبة روح العصر -أو لنقل تمثيل- روح العصرية في الأدب، ولأن الشعر هو محور الأدب العربي وقضيته الأولى إلى غاية تلك الفترة، فقد كان الرهان على تكوين رؤية جديدة للشعر، وهذا من خلال زعزعة الحدود التي ضربت طوقا على الشعرية التقليدية فاختزلت الشعر في حدود الوزن والقافية. من هنا عمل رواد التجديد جاهدين على تجديد الأفق النظري للقصيدة العربية، ونزع هؤلاء إلى تحرير القصيدة من: البلاغة التقليدية، والموسيقى التقليدية، والمقومات التقليدية في اللغة والأسلوب والموضوعات والمعاني. لقد سعى هؤلاء الرواد جاهدين إلى إعادة تعريف الشعر تعريفا يلتفت إلى جوهر الشعر وماهيته ووظائفه ومقاصده.

**جماعة الديوان: أصل التسمية وسؤال النشأة**

تعددت الأسماء التي أطلقت على الاتجاه النقدي الأدبي الذي التمّ به كل من عباس محمود العقاد وعبد الرحمان شكري وإبراهيم عبد القادر المازني، في أوائل هذا القرن تعددا ملحوظا فتارة سمي باسم الحركة التجديدية أو حركة تجديد الأدب أو مدرسة التجديد في الأدب العربي، كل ذلك في مقابل حركة البعث الأدبي. وتارة سمي باسم مدرسة الديوان أو جماعة الديوان. ويمكن القول إن الاسم المميز لهذه ّالحركة والذي يمكن الاعتماد عليه في إبرازها دون أن يتوارد إلى الذهن غيرها هو جماعة الديوان أو مدرسة الديوان، فهذا هو الاسم الجامع المانع كما يقال، الدال على هذه الحركة التجديدية في الأدب والنقد[[1]](#footnote-1)

يربط جل الباحثين نشأة هذه الجماعة بتاريخ صدور كتاب الديوان سنة 1921’ وإلى عنوان الكتاب أيضا يعزى أصل التسمية. وإذا ما تتبعنا الكتابات التي تعرضت في دراساتها للجماعة، فسنجد أن جل هذه الكتابات تقرر أن أفراد جماعة الديوان وهم عبد الرحمان شكري والمازني والعقاد. مما يجعل الدارس يتساءل ما محل عبد الرحمان شكري في الجماعة، وهو-أي شكري-لا علاقة له بكتاب الديوان؟ كل هذا يجعل الدارس للجماعة، لا يمر دون أن تستوقفه هذه التسمية لما تطرحه من استفهامات تحتاج إلى حل إشكالها. المعروف أن كتاب الديوان قد ألف بعد أن انفصل شكري عن زميليه بعد خصومته مع المازني، والأدهى من ذلك أن قد حوى بين دفتيه نقدا لاذعا لشكري، يخرجه من دائرة الشعراء والمجددين، حيث سماه المازني بصنم الألاعيب ورماه بالجنون ومرض الأعصاب .من هنا يبدو لنا واضحا أن هناك مغالطة تكتنف تاريخ ونشأة هذه الجماعة ، وانطلاقا من هذه المغالطة ذهب العديد من النقاد إلى أن جماعة الديوان لم تبرز في عالم النقد والأدب إلا حين أصدرت كتابها سنة 1921، إلا أنه في واقع الأمر النشاط الأدبي والنقدي للجماعة بدأ قبل ذلك بسنوات ، أي منذ أن أصدر شكري ديوانه الشعري الأول عام 1909، وهذا يعني أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال التحدث عن جماعة الديوان بدون شكري ، فهو المؤسس الأول للجماعة والمنظر لها ، بل لن نكون من المبالغين إذا قلنا أن العقاد والمازني قد تتلمذا على يد عبد الرحمان شكري قبل أن يكتمل نضجهما في الاتجاه الجديد [[2]](#footnote-2). وإذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن القول إن ارهاصات التجديد في الاتجاه الوجداني قد بدأت مع شكري وذلك منذ أن أصدر الجزء الأول من ديوانه ضوء الفجر عام 1909 وقد لخص فيه اتجاهه في بيت شعري شهير، يقول فيه:

**ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان**

وفي هذا الصدد يقول الناقد محمد مندور مؤكدا الدور الطليعي لعبد الرحمان شكري في معركة التجديد: " عند تحديد أو محاولة تحديد مكانة شكري في حركة التجديد في أدبنا العربي المعاصر لا مفر من أن نعطي الأهمية الأولى لإنتاجه الشعري الذي حقق فيه ما يمكن أن نسميه مذهبا جديدا في تراثنا الشعري، وهو المذهب الذي أخبرنا المازني أنه كان قد انتهى إليه وهما لا يزالان طالبين في مدرسة المعلمين العليا. وبفضل هذا المذهب الذي حققه شكري فعلا في الدواوين السبعة التي نشرها في الفترة التي تقع بين سنة 1909 وسنة 1918 يحق لشكري أن يحتل مكانه بين نقاد الأدب وموجهيه"[[3]](#footnote-3). والجدير بالذكر أن هناك اختلافا بين الباحثين في تحديد رائد هذه الجماعة ، "البعض قدّم العقاد رائدا لها ، والبعض الآخر ذكر عبد الرحمان شكري، بينما وقف فريق ثالث موقفا وسطا فقال: إن أعضاء جماعة الديوان قد قادوا معركة مزدوجة، أحد سلاحيها قرض الشعر، وقد قام به شكري خير قيام، والسلاح الآخر حملة نقدية عنيفة على الشعراء والأدباء الذين وسموهم بالتقليد والسير في الدروب المطروقة البالية ، وقام به العقاد خير قيام".[[4]](#footnote-4)

**جماعة الديوان وأفق التجديد النظري:**

لقد تطلع جيل الرواد المجددين وفي طليعتهم جماعة الديوان إلى جعل القصيدة تتصف بالعصرية روحا وشكلا وذات قدرة على امتصاص الثقافة المتنوعة، والتطور من القصيدة التقليدية إلى النص ذي الوحدة الموضوعية والخيالية والفكرية، المنتجة في سياق زماني ومكاني يمكن تحديدهما. وهو جزء من السعي إلى تفكيك المفهوم الموروث للقصيدة، وتحويله من مفهوم متعال، يلتف ببردة سميكة من الأنسجة الجمالية: عادات بلاغية وأسلوبية، توازنات إيقاعية، مؤثرات عاطفية، أعراف شكلية، ممارسات لغوية معينة إلى مفهوم عصري يحرر القصيدة في مضمونها وفي فكرتها وصورتها الموسيقية وأخيلتها من تلك القيود النمطية والقوالب الجاهزة التي أثقلت كاهلها وأبقتها في حالة ركود ردحا طويلا من الزمن.

لقد مارس الديوانيون دعوتهم التجديدية من خلال النماذج الشعرية التي أبدعوها والتي حملت في أطوائها بذور التغيير وأصول هذه القيم الجديدة ولقد كانت دواوين هؤلاء الثلاثة بما تحمله من ملامح التجديد بمثابة شرارة ثورة التجديد الشعرية في النطاق العربي. ولقد كانت هذه الدواوين تصدّر بمقدمات يكتبها أحدهم، مضمنا إياها دعوته إلى التجديد وموضحا فيها رؤيته النقدية إزاء قضايا التجديد، كما تضمنت هذه المقدمات حملة هؤلاء على رواد المدرسة الكلاسيكية. لكن يبقى كتاب الديوان أهم إنجاز نقدي ينسب إلى الجماعة، فقد حوى زبدة فكرهم وجوهر فلسفتهم، حيث أودعوه أصول مذهبهم وأهم المبادئ الذي نادوا به، يقول المؤلفان في مقدمة الكتاب: "وأوجز ما نصف به عملنا –إن أفلحنا فيه-إنه إقامة حد بين عهدين، لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما، وأقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربي. إنساني لأنه – من ناحية – يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الإنسانية عامة، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة. ومصري لأن دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية، وعربي لأن لغته العربية، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت، إذ لم يكن أدبنا الموروث في أعم مظاهره إلا عربيا بحتا يدير بصره إلى عصر الجاهلية. وقد مضى بسرعة لا تتبدل، وقضى أن تحطم كل عقيدة أصناما عبدت قبلها، وربما كان نقد ما ليس صحيحا أوجب وأيسر من وضع قسطاس الصحيح، وتعريفه

في جميع حالاته، فلهذا اخترنا أن نقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفضيل المبادئ الحديثة، ووقفنا الأجزاء الأولى على هذا الغرض، وسنردفها بنماذج للأدب الراجح من كل لغة، وتكون كالمسبار والميزان لأقدارها."[[5]](#footnote-5)

كما هو واضح، فإن هذا الملخص الوصفي للمذهب النقدي الذي تبنته الجماعة، يعبر عن المزاج الثقافي السائد في النصف الأول من القرن الماضي والمتجه إلى محاربة القيم الجامدة ثقافيا واجتماعيا، ولقد كان لهذه الجماعة تأثير كبير على الساحة الأدبية العربية، فقد كان لها تأثيرها المباشر وغير المباشر على الحركات والجماعات الأدبية التي تلتها وعلى رأسها جماعة الديوان، والذي يُحمد لهذه المدرسة أنها لم تخرج عن القديم في دعوتها للجديد، ولعل تقديم الأعمال التراثية لفطاحل الشعراء العباسيين لدليل واضح على إيمانهم بدور هذا الشعر القديم والقيمة التي يكتسيها.

**مواطن التجديد عند جماعة الديوان:**

لقد اهتم شکري وصاحبيه اهتماما واضحا بإعادة صياغة **مفهوم جديد للشعر** يعيد ربطه بالحياة، من هنا اعترافهم بعدم إمكانية حصر الشعر في تعريف محدود وفي ذلك يقول العقاد:" من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود كمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود"[[6]](#footnote-6)، ولهذا ليس مستغربا أن تتعدد أحاديثهم عن الشعر، وفي كل حديث يتناولون جانبا من جوانبه الكثيرة المتعددة ، ومن أبرز هذه الجوانب تعريفهم للشعر بأنه تعبير وإصرارهم الشديد على أن الشعر تعبير يرتبط بالعالم الداخلي للشاعر [[7]](#footnote-7). هذا جوهر مفهوم الشعر عند جماعة الديوان مثلما تكشف عنه كتاباتهم النقدية التي يختزلها قول شكري الذي أتينا على ذكره أعلاه: **ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان**

الشعر عند جماعة الديوان وجداني ذاتي، بمعنى هو تعبير عن النفس الإنسانية في فرديتها وتميزها، يقول شكري في ديوانه والشعر ما أشعرك وجعلك تحس عواطف النفس إحساسا شديدا[[8]](#footnote-8) ، وضمن نفس المنحى يرى العقاد أن الشعر هو "التعبير الجميل عن الشعور الصادق "[[9]](#footnote-9)من هنا أهمية أن يكون الشاعر صادقا في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، وأحاسيس الشاعر أو الأديب هي التي تخلع على اللغة سمة

الشاعرية ، ولقد أصبح الشاعر في المفهوم الجديد الذي أتت به جماعة الديوان هو من يشعر بجوهر الأشياء، ومن ينطلق من عبقريته الذاتية فيغوص في كنه الأشياء ، فيرى منها ببصيرته ما لا تراه الشخصية العادية، ويصل بموهبته إلى الحقيقة العميقة الثاوية ، ويستخرجها من داخل هذه الأعماق البعيدة و"ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ، وأنما مزيته أن يقول لك ما هو ، ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به" [[10]](#footnote-10). ومن هذا المنطلق فرقت جماعة الديوان بين شعر الصنعة (شعر القشور) وشعر الطبع الذي يمثل جوهر الشعر وحقيقته ، وما الطبع في عرف الديوانيين إلا الانطلاق من الشعور وهو الشعار الأهم الذي تحمله مدرسة الديوان في مذهبها التجديدي.

يعدّ مفهوم **الوحدة العضوية** من المفاهيم المحورية في التجربة الإبداعية والنقدية عند جماعة الديوان، وقد جاء في الديوان : "إن القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها , واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها. فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغنب الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ، أو هي كالبيت المقسم لكل حجرة مكانها وفائدتها وهندستها "[[11]](#footnote-11) ويعني هذا أن توافر الوحدة العضوية في القصيدة يقتضي وجود صلة محكمة بين أجزاء القصيدة فيكون بعضها سببا من بعض فإذا هي جسم مكتمل التكوين كما لو صبت في قالب واحد . وقد كان العقاد أكثر أعضاء الجماعة حماسة في الدعوة إلى مبدأ الوحدة و ّقد عمد في معرض نقده شعر شوقي وإزرائه به ، لتفككه وافتقاره إلى الترابط والاتساق ـ إلى تغيير ترتيب الأبيات في قصيدة من قصائده المدحية للاستدلال على أن هذه العملية لا تفضي إلى تغيير في روح القصيدة ، وعلى أن الشاعر يفتقر إلى الحس الشعري السليم والرؤية العميقة المتصلة والكاملة"[[12]](#footnote-12). هكذا رأى العقاد في قصائد شوقي نماذج مفككة نستطيع أن نقدم أي بيت منها أو نؤخره دون أن تختل بها البنية أو تضطرب بينما القصيدة وفق كولردج لها كائن حي يستمد كل عضو منها حياته و وظيفته من سائر الأعضاء مثلما يستمد الكيان كله حياته من حياة أعضائه وأجزائه ، وفي ذلك يرى العقاد أنك "ترى الارتباط قليلا بين معاني القصيدة العربية ولا ترى قصيدة انجليزية تخلو من رابطة تجمع أبياتها على موضوع واحد ، او موضوعات متناسقة. ومن هنا كانت وحدة الشعر عندنا البيت، وكانت وحدته عندنهم القصيدة. فالأبيات العربية طفرة بعد طفرة، والأبيات الإنجليزية موجة تدخل في موجة لا تنفصل من التيار المتسلسل الفياض؛ وسبب ذلك كما قدمت هو أن الحس لا يربط بين المعاني وإنما يربط بينها التصور والتعاطف والملكة الشاعرة. "[[13]](#footnote-13) ويذهب بعض الباحثين إلى أن العقاد خلط بين الوحدة العضوية والوحدة الفنية "ظنا منه أنهما شيء واحد ، فهو يشير إلى الوحدة الفنية بوصفها تتضمن وحدة العمل الأدبي ...دون أن يتبين أن المفهوم الأخير مفهوم كلاسيكي متعارض تماما مع المفهوم الرومانسي أو الوجداني الذي كان يبشر به بينما الوحدة العضوية تعود إلى الفلسفة الحلولية الرومانسية التي ترى ذات الشاعر متماهية مع العالم ومتجلية في النص الذي تنتجه ..." [[14]](#footnote-14)

وقد كان من أهم مظاهر التجديد عند أصحاب مدرسة الديوان الاعتداد بمفهوم الخيال بوصفه مصدرا مهما لخلق الصورة الشعرية وذلك بالنظر إلى قوة الخيال الخلاقة وفاعليته الدينامية في توليد الصور الفنية، ولأن الأمر كذلك ، فقد آمن الديوانيون بمنزلة الخيال الهامة في الفن ، فتحدثوا عنه باستفاضة في كتاباتهم ، وقد كان **عبد الرحمن شكري** أكثرهم اهتماما بالخيال وماهيته ووظيفته في عملية الإبداع متأثرا بنظرية الخيال عند الرومنسيين الغربيين ، وخاصة ما كتبه كل من وردزورث وكولردج . ففـي حـدود تأثير **الخيال** في الصورة الشعرية ، نجد شكري يميز بين الخيال والوهم ، يقول في ديوانه: " ينبغي أن نميز في معاني الشعر وصوره بين نوعين: نسمي أحدهما التخيل والآخر التوهم . فالتخيل أن يظهر الشاعر الصلات بين الأشياء والحقائق، ويشترط في هذا النوع أن يعبر عن حق. والتوهم أن يتوهم الشاعر بين الشيئين صلة ليس لها وجود ، وهذا النوع الثاني يغرى به الشعراء الصغار، ولم يسلم منه الشعراء الكبار..."[[15]](#footnote-15)، بهذه التفرقة يضع شكري يده على أهم ما يميز ملكة الخيال ويميزها عن الوهم ، مساهما –بالتالي- في تغيير المفهوم القديم الذي سار عليه الشعراء في الصورة الشعرية ـ لأن الخيال لا يقاس بما وضع الشاعر من تشبيهات واستعارات ، لكن يقاس بما وظف من خيال استطاع أن يتفرد به عن الخبال العام ويتميز عنه."[[16]](#footnote-16)

بيد أن مشعل التجديد الذي رفعه الديوانيون ما لبث أن خبا وهجه بفعل العديد من الأسباب لعل أبرزها:

استلابية الرؤية والخضوع المطلق لمرجعية الآخر الغربي ، ويظهر ذلك من خلال الاعجاب والافتتان بالمذهب الرومانسي بتبني مقولاته وتصوراته عن قصور الممارسة ومحدودية الطرح النقدي حيث لم يكن المازني والعقاد يتمتعان بكياسة نقدية تكشف عن موضوعية علمية تؤسس لأعراف جديدة في تناول النص الأدبي ،لا بل إن مفهوم النص الأدبي نفسه لم يكن قد تأسس بعد، وظلت تلك الممارسات مجرد انتقاءات واجتزاءات ملفقة من هنا وهناك.

استخدام أسلوب السخرية والاستهزاء، حيث نهج صاحبا الديوان نهجا قائما على التهكم القاسي، والحط من قيمة الأديب.

الخلافات التي دبت بين أعضاء الجماعة، والتي أدت إلى افتراق أعضائها بداية بانصراف شكري عن الجماعة ثم انصراف المازني ليبقى العقاد بمفرده.

طغيان النزعة الفردية، فقد سمى العقاد مدرسته بمدرسة الفرد المستقل .

ولئن كانت جماعة الديوان قد وضعت الأسس لتحول جذري عن افتراضات وأسلوب الكلاسيكيين، فإنه أصبح على جماعة أخرى هي جماعة أبولو أن تحمل أفكارها، وأن تؤسس الرومانسية بوصفها اتجاها شعريا مسيطرا في مدة الحرب. كان مقر جماعة أبولو مصر مثل جماعة الديوان ، ولكنهم خلافا للجماعة السابقة التي تكونت من ثلاثة أشخاص فقط ، كانت أبولو شاملة في مشهدها الأدبي ومعانقة منهجيات وأساليب شعرية متعددة، وأيضا جنسيات مختلفة شاملة شعراء من تونس والسودان والعراق والمهجر ومصر ذاتها.

1. - ينظر: سعاد محمد جعفر التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، جامعة عين شمس، مصر، 1973،ص51 [↑](#footnote-ref-1)
2. - ينظر: عمار حلاسة، نظرية الشعر ، دار البيروني للنشر والتوزيعن الأردن، 2013، ص28،29،30 [↑](#footnote-ref-2)
3. - محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 44، 45. [↑](#footnote-ref-3)
4. - سعاد محمد جعفر التجديد في الشعر والنقد، ص76. [↑](#footnote-ref-4)
5. - العقاد والمازني، الديوان في الأدب والنقد، هنداوي ي آي سي، المملكة المتحدة، 2018، ص7 , 8 [↑](#footnote-ref-5)
6. العقاد، وحي الأربعين ، دار القلم ، لبنان ، ص4 [↑](#footnote-ref-6)
7. - التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، ص134. [↑](#footnote-ref-7)
8. - عبد الرحمان شكري، ديوان عبد الرحمان شكري، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص161 [↑](#footnote-ref-8)
9. - العقاد ، وحي الأربعين، ص4 [↑](#footnote-ref-9)
10. - العقاد والمازني، الديوان ، ص22. [↑](#footnote-ref-10)
11. - الديوان في الأدب و النقد، ص122، 123. [↑](#footnote-ref-11)
12. - محمد ناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد حامي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1998، ص 105. [↑](#footnote-ref-12)
13. - العقاد ، ساعات بين الكتب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، 2014، ص445 [↑](#footnote-ref-13)
14. -سعد البازعي، استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004، ص102. [↑](#footnote-ref-14)
15. - ديوان عبد الرحمان شكري، ص261،262. [↑](#footnote-ref-15)
16. - عمار حلاسة، نظرية الشعر، دار البيروني للنشر والتوزيع ـ الأردن، 2014، ص61. [↑](#footnote-ref-16)